الاقتداء به والسير على هداه، وذلك عن طريق تطبيق المربِّين لسُنَّة النبي ﷺ تطبيقاً عملياً على مرأى من الناشئة، وبيان أن هذا من فعل الرسول ﷺ ومن خُلُقه عليه السلام، فليست محبته عليه الصلاة والسلام نطقاً باللسان، وإنما تطبيقاً لهذه السُّنَّة ودفاعاً عن هذه القدوة الكريمة بكل وسيلة ضد من يعاديها أو يرصد الهجمات للنيل منها.

● احترامه ﷺ عند قبره وفي مسجده بخفض الصوت لمن أكرمه الله بزيارة مسجده وشرَّفه بالوقوف عند قبره ﷺ.

الركن الخامس: إيمان الناشئة باليوم الآخر:

ومعنى الإيمان باليوم الآخر، هو «الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه وأخبر به رسول الله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، والبعث والحشر، والصحف، والحساب والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً»[(١)].

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، **والسبب في ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:**

١ ـ أن لليوم الآخر أثراً عظيماً في حياة الإنسان، لأن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار، وحساب وعقاب وثواب، وفوز وخسران، له الأثر الأكبر في توجيه حياة الإنسان وانضباطه، وتقوى الله ﷻ، والتزامه بالعمل الصالح، وقد جاء ذلك البيان في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

٢ ـ غفلة العباد وكثرة نسيانهم لليوم الآخر بسبب تثاقلهم إلى

(١) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٧٣.

الأرض بسبب «الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على المصالح والمتاع، والرغبة في الراحة والاستقرار»[(١)]، فيكون الإيمان به وما فيه من عذاب، ويعينهم ما يخفف من الانغماس في الدنيا وطلبها، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا ولذاتها فانية لا تستحق الركون إليها فيتطلع إلى ما هو أعظم من ذلك، إلى ما أعده الله لهم في ذلك اليوم العظيم[(٢)]، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان باليوم الآخر، ومن هذه المعاني:

١ ـ أن يغرس المربي في نفوس الناشئة أن الله تعالى يبعثهم يوم القيامة من الموت ليجدوا جزاء أعمالهم، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، كما أخبر عن ذلك ﷻ: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، فيشتد الموقف على الكفار والمنافقين فيعلوهم الحزن ويظهرون الحسرة والندامة[(٣)]، ويقولون: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

٢ ـ أن يغرس المربي في نفوس الناشئ أن الله تعالى يحشر الناس جميعاً بعد بعثهم وإخراجهم من قبورهم.

والحشر: هو الجمع[(٤)] كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد بيَّن الرسول ﷺ الحال التي يحشر

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٦٥٥.
(٢) انظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٧٦.
(٣) انظر: تفسير السعدي ص٢٥٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٦٢٨، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٤/ ٣٢، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦/ ١٦٨.

عليها الناس، فعن عائشة[١] رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»[٢]، قلت: يا رسول الله ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[٣].

وأخبر القرآن الكريم عن التفاوت الكبير بين المؤمنين المتقين والكافرين المجرمين يوم الحشر، فالمؤمنون يُقْدِمون على الرحمٰن وفداً في كرامة وتبجيل وحسن استقبال، وذلك بسبب ما قدَّموه من العمل بتقواه واتباع مرضاته: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم].

أما حال المجرمين فهم يساقون إلى جهنم عطاشاً على وجه الذل والصغار كما تساق القطعان[٤]: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

٣ ـ أن يغرس المربِّي في نفوس الناشئ أن الله تعالى أوجد في ذلك اليوم الجنة دار الكرامة والسعادة والخلود، خلقها الله تعالى ليثوب عباده المؤمنين، وأوجد النار التي أعدها الله للكافرين، ويتم ذلك الغرس عن طريق الترغيب في نعيم الجنة وما أعده الله فيها للمؤمنين كما جاء

---

(١) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق «أم المؤمنين»، زوج الرسول ﷺ وأشهر نسائه، تزوجها الرسول ﷺ قبل الهجرة بسنتين، كانت فقيه عالمة توفيت سنة (٥٧هـ)، وقيل: (٥٨هـ).
انظر: أسد الغابة ٧/ ١٨٦، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ٧/ ١٨٢.

(٢) غرلاً: جمع أغرل وهو الذي لم يختن.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٢٨٥٩).

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي ١٦/ ١٩٨، وتفسير الطبري ١٥/ ٦٣١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١١/ ١٣٨ ـ ١٤٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/ ١٢٠، وتفسير السعدي ص٥٠٠، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٣٢.

في وصف هذا النعيم في كتابه الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم]، ووصفه في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة]، وفي ذلك ترغيب للناشئ لفعل الطاعة والحرص عليها والترهيب من النار وما فيها من العذاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال في موضع آخر: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات]، فشعور الناشئ بالخوف من ذلك تدفعه إلى «اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة، فالخوف من عقاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقوع في المعاصي وإلى التمسك بالتقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه»[(١)]: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

٤ ـ تربية الناشئ على قوة الإرادة وإيثار الآخرة على الدنيا، لأن مغريات الحياة الدنيا ومكائد الشيطان وأتباعه من الإنس لا علاج لها إلا ما يربيه القرآن في النفوس من إيثار الآخرة، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن

(١) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص٧٢.

طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات].

الركن السادس: الإيمان بقضاء الله وقدره:

عرّف العلماء القضاء بأنه: «علم الله تعالى الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ كما هو يقضي بوجوده في كميته وكيفيته وصفته...»[(١)].

«والقَدَر بفتح الدال: تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق له علمه واقتضته حكمته»[(٢)].

فالإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان العقيدة الإسلامية، وينبغي غرسه في عقيدة الناشئ ليؤمن به، خيره وشره، حلوه ومرّه. يقول الإمام البغوي[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإيمان بالقدر: «الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خلق أعمال العباد خيرها، وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم... فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب»[(٤)].

---

(١) انظر: عقيدة المؤمن ص٣٤٥. (٢) رسائل في العقيدة ص٣٧.

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السُّنَّة، وركن الدين، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، له مصنفات كثيرة منها: «معالم التنزيل في التفسير»، و«شرح السُّنَّة». مات سنة (٥١٦هـ) بمرو وقد جاوز الثمانين. انظر: طبقات المفسرين، للداودي ص١١٣، وفيات الأعيان ٢/١٣٦.

(٤) شرح السُّنَّة البغوي، كتاب الإيمان، باب القدر ١/١٤٢.

وقد تقدم الحديث عن وجوب الإيمان بالقدر في الحديث السابق عندما سأل جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان ـ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان بالقضاء والقدر:

١ ـ تربية الناشئة على طلب السؤال من الله تعالى ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله وحده، فالدعاء يتوجه به إلى الله تعالى، فهو سبحانه المستحق لهذه العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٢ ـ تربية الناشئة على التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه «في جلب المصالح ودفع المضار عنهم، والثقة بالله في تحصيل المطالب، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره فإنه مخذول غير مدرك لما أمل، فهو سبحانه المتولي للأمور الدينية والدنيوية»(٢).

وأن ما يصيب العبد في دنياه من الضر والنفع كله مقدر عليه وكتبه الله له، ولا يستطيع الخلق ولو اجتمعوا على تغييره، وقد جاءنا تأكيد ذلك والحث عليه في كتاب الله العزيز: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقوله عز وجل في موضع آخر: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام]، «فالأمر كله لله لا يملك أحد معه منه شيئاً، فلا يأتي

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير السعدي ص٣٣٩ بتصرف.

بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذن ومشيئته»[١].

وقد جمع الرسول ﷺ هذه المعاني القيمة في مواعظ تربوية في حديثه عليه السلام مع ابن عباس[٢] رضي الله عنهما الذي روى هذه المواعظ بقوله: «كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: **يا غلام إني أعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٣].

٣ ـ تربية الناشئة على الصبر على قضاء الله وقدره، ويستثمر المربي أسلوب الموعظة في تعميق ذلك في نفس الناشئ «عندما تظهر عليه علامات اليأس والملل والضيق لفقر أسرته وضيق ذات اليد، فيستغل المربي هذا الجانب ليدخل الرضا والطمأنينة على نفس الناشئ ليحفظه من الانحراف»[٤]، ويذكره بموعظة لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان]، فإذا صبر على ما نزل من مكروه «فإنه سيدفع مكائد الأعداء، أما من قلّ صبره غرب رأيه واشتد جزعه، فصار صريع همومه وفريسة غمومه»[٥]. «ويستغل المربي مفهوم القضاء والقدر أيضاً في تخفيف حدة

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، لابن قيم الجوزية ص٥٣٥، ٥٣٦.
(٢) سبقت الترجمة له. (٣) سبق تخريجه.
(٤) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان حسن باحارث ص١٤٢.
(٥) أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي ص٣٥٦.

الشعور بالنقص عند الولد المصاب بعاهة جسدية تعيقه كالشلل أو التشوه أو غيرها، فيبين له أن ذلك بقضاء الله وقدره ليجزيه على صبره أجراً»[١] قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وبناء على ما تقدم ينبغي على المربين من آباء ومعلمين استثمار كل ما من شأنه تعميق العقيدة في نفوس الناشئة من وسائل وتقنيات حديثة كما أشرنا سابقاً لما للتطور المعلوماتي اليوم من دور كبير في غرس القيم لدى الناشئة، ولهذا ينبغي الاستفادة من الحاسوب وبرمجياته في حكاية قصص الأنبياء والصالحين التي أوردها القرآن الكريم من خلال برامج ممتعة للناشئة تغرس العقيدة في نفوسهم، ومن خلال استخدام وسائل التربية الهامة التي استخدمها القرآن الكريم في تربية عباده تربية متميزة مثل:

١ ـ التربية بالقدوة التي لها أكبر الأثر في التنشئة الصحيحة والتربية العقدية السليمة، والرسول ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى الذي ينبغي على المربين الاقتداء به والسير على هداه وتطبيق سُنَّته تطبيقاً عملياً واقعياً مع أبنائهم، فهو عليه السلام يمثل الصورة الكاملة للمنهج القرآني الذي بعثه الله تعالى به وأمر عباده بالاقتداء به، قال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢ ـ والتربية بالمثل كالترغيب في الأعمال الصالحة ومضاعفة الأجر عليها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة]، وغيرها من الأمثلة.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص١٤٣.

٣ ـ والتربية بالقصة كما جاء عن قصة ابني آدم وما فيها من دلالات تربوية من التحذير من ارتكاب الشر وتجنب الحسد بين الإخوة، قال تعالى: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة]، وغيرها من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

وينبغي الإشارة إلى أهمية مدارس وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعميق الجانب العقدي في نفوس الناشئة وضرورة التحاق الناشئة بها فهي البداية الصحيحة لعقيدة متينة وسليمة لهؤلاء النشء، وحصناً منيعاً من موجات الزيغ والانحراف ووقاية من الوقوع فيها، ففيها يرتبط الناشئ بكتاب الله فيصبح ذاكراً حافظاً لكتابه ومطبقاً لتعاليمه.

المبحث الثاني كمال الإرشادات القرآنية وإحاطتها بالجوانب النفسية للناشئة في ضوء القرآن الكريم

❐ تمهيد:

اهتم القرآن الكريم بالجوانب النفسية للناشئة وبتربيتها، ابتداءً من البحث عن النفس ومكوناتها ومصيرها ودوافعها المختلفة، والعواطف البشرية من غضب وحلم ومودة، إلى رسم الطريق الصحيح أمام الناس وتوضيح السلوك الجيد من الرديء والبعد عن السمات السيئة من الحقد والغيرة والحسد والأنانية وغير ذلك[١].

فتربية الناشئة نفسياً تتطلب تربيتهم «منذ أن يعقلوا على الجرأة والصراحة، والشجاعة، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين والتحلي بكل الفضائل النفسية على الإطلاق.

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الناشئة وتكاملها واتزانها حتى يستطيعوا إذا بلغوا سن التكليف أن يقوموا بالواجبات التي كلفوا بها على أحسن وجه، وإذا كان الناشئ منذ أن يولد أمانة بيد مربيه، فالله ﷻ في كتابه الكريم يأمرهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج، وتفكير متزن وتصرُّف حسن، وإرادة مستعلية»[٢]، وذلك ضمن إرشادات ربانية أرشدنا إليها ربُّ

(١) انظر: التربية المتكاملة للطفل المسلم ص٣٥١.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٢٣١ بتصرف.

العزَّة نعمل بها ونطبقها عملياً حتى تتحقق التربية النفسية بشكل صحيح لأن النفس هي محرك الإنسان نحو تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته على قدر المستطاع فيلزم تدريبها وتربيتها، وعليها يتوقف فلاح الإنسان أو الخيبة والخسران، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

◻ أهم الجوانب النفسية للناشئة التي اهتم بها القرآن الكريم:

أولاً: اختيار الاسم الحسن وأثره في نفسية الناشئة:

الاسم الجميل للإنسان يريح صاحبه ويفرحه ويفتخر به، وقد اعتنى الإسلام بتسمية الأولاد تسمية حسنة، فمن حق الابن على أبويه أن يعطوه اسماً جميلاً، له معنى محبَّب؛ لأن الولد سيحيا في نطاق المجتمع، ولأنه «سيتأثر نفسياً بنوع الكنية أو الاسم الذي يعطى له، فتتأثر رؤيته لنفسه بذلك فلا بد أن يكون ذا قدر وقيمة في كل شيء ومن ذلك حمله لاسم لائق. وذلك لأن بعض الأطفال يعانون من أسمائهم لأنها تحمل معاني لا تعجبهم، فتتأثر نفسياتهم ويتعرضون لأوقات وظروف عديدة من البؤس والتعاسة، وذلك لأن أول كلمة يتعلمها الطفل عادة، أو يحاول أن يكتبها هي اسمه، فإذا كان جميلاً انعكس ذلك عليه بهجة وسعادة وإن كان ذميماً وقبيحاً انعكس عليه بؤساً وشقاءً»[(١)]، وتعرض لسخرية الناس، إذ يعيبون عليه بالقول والإشارة، هازئين، غامزين، وهذا الموقف له أثره في نفسية الناشئ.

ومن هنا جاء الوعيد في القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، ليرفع أخلاق الناس ويصحح تعاملهم، فيحيَوْن فيما بينهم

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٥٧.

على أساس من القيمة والواقعية»[١].

وحفاظاً على نفسية الناشئ وحتى لا يتعرض لهذه الأمور، فقد أرشد الله ﷻ إلى ما يتوجب فعله عند قدوم المولود الجديد من اختيار اسم جميل له يدعى به بين الناس ويميزه عن غيره من الأشخاص، كما أخبرنا الله ﷻ ببشارته ﷻ لزكريا عليه السلام بغلام اسمه يحيى، قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم].

وهذا الاسم «منَّة من الله وإكراماً لزكريا إذ جعل اسم ابنه مبتكراً. وللأسماء المبتكره مزيَّة قوة تعريف المسمى لقلة الاشتراك إذ لا يكون مثله كثيراً مدة وجوده، وله مزية اقتداء الناس به من بعد حين يسمون أبناءهم ذلك الاسم تيمناً واستجادة»[٢].

وحسن التسمية فيه نوع من الحب، وجاء التوجيه أيضاً من الرسول ﷺ إلى ذلك، فعن أبي الدرداء[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم**»[٤].

وهذا الحرص والتأكيد من الشريعة الإسلامية لحسن اختيار الاسم يعود إلى الارتباط الوثيق بين الاسم والمسمَّى، كما أشار إلى ذلك الإمام

---

(١) انظر: حق الوالدين على الأبناء وحق الأبناء على الوالدين، يوسف بديوي ص١١٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٦٩.

(٣) هو: عويمر بن عبد الله، وقيل: ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد، أبو الدرداء الخزرجي، له عن النبي ﷺ عدة أحاديث، أسلم يوم بدر وشهد أُحداً وأبلى فيها، قال عنه الرسول ﷺ يوم أُحد: «**نعم الفارس عويمر**»، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً. مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين هـ بدمشق. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٤، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٦٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٤٩٤٨)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤١.

ابن القيم[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، فذكر أن هناك علاقة وارتباطاً بين الاسم والمسمى، وأن للأسماء تأثيراً على المسمّيات وبالعكس[٢]، إن صاحب الاسم الحسن يحمله اسمه ويدفعه إلى فعل المحمود من الأفعال وذلك حياء من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة[٣].

ففي قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم]، «كان اسماً موافقاً لمسمَّاه، يحيا حياة حسية فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية وهي حياة القلب والروح بالوحي، والعلم، والدين»[٤].

ما يستحب من الأسماء وما يكره:

إن مما يجب أن يهتم به المربي عند تسمية الولد أن ينتقي له من الأسماء أحسنها وأجملها، لأن ذلك من حقوقه الأولى على ولي أمره ومراعاة للأثر النفسي الذي يتركه الاسم كلما ناداه به مُنادٍ أو دعاه به داع[٥].

١ ـ الأسماء المستحبة:

ومما يدل على ذلك قوله ﷺ عن ابن عمر[٦] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عبد الله**

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ٢/ ٣٣٦.
(٣) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم ص٢٥٠.
(٤) تفسير السعدي ص٤٩٠.
(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان ١/ ٦٥ ـ ٦٦، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٦٩.
(٦) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كان كثير الاتباع لآثار الرسول الكريم حتى أنه ينزل منازله ويصلي في كل مكان فيه، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٣٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٥٧٩.

وعبد الرحمٰن»[١].

ومن فائدة هذه التسمية أن الطفل إذا وعى وعقل أدرك أنه عبدُ الله وأن الله تعالى هو إلهه ومولاه[٢].

وأيضاً ما روي عن أبي وهب الجشمي[٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسمّوا بأسماء الأنبياء**»[٤].

وقال أيضاً: «**تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا أبو القاسم أقسم بينكم**»[٥]، ومن هنا شاع بين الناس أن (خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد) للحديثين السابقين، ومثله (إذا سمَّيتم فعبِّدوا) و(أحبُّ الأسماء إلى الله ما تعبّد له) قال السخاوي[٦]: «وأما ما يذكر على الألسنة خير الأسماء ما حُمِّد أو عُبِّد فباطل»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم الحديث (٢١٣٢).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص٣٨٩.

(٣) هو: أبو وهب الجشمي، له صحبة عن النبي ﷺ في الخيل، سكن الشام، وروى عن النبي ﷺ. انظر: أسد الغابة ٦/ ٣٢٣، والإصابة ٤/ ٢٤٠٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٤٩٥٠)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٧٤٢: صحيح دون قوله: تسمّو بأسماء الأنبياء.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «**سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**»، حديث رقم (٦١٨٨)، ومسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، حديث رقم (٢١٣١).

(٦) هو: محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي الأصل القاهري المولد، الشافعي المذهب، نزل الحرمين الشريفين، وحفظ القرآن وهو صغير، من تصانيفه: «الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر»، و«المقاصد الحسنة»، و«فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، توفي سنة (٩٠٢هـ) بالمدينة.
انظر: شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي ٨/ ١٥/ ١٧.

(٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني ١/ ٩٥.

٢ ـ الأسماء التي يُكره التسمية بها:

كما على المربي «أن يجنِّب ابنه الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهو غائبون بلفظ «لا» ـ كالتسمية بأفلح ونافع، ورباح، ويسار»[(١)]، فعن سمرة بن جندب[(٢)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... **لا تُسمِيَنَّ غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً، ولا أفلح. فإنك تقول: أثَمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول: لا، إنما هُنَّ أربَعٌ فَلا تَزيدُنّ عَلَيَّ**»[(٣)].

وهذا إرشاد من نبي الرحمة ﷺ لأمته إلى منعهم من الأسباب التي توجب لهم سماع المكروه ووقوعه؛ لأنهم قد يتطيَّرون بذلك، «والطِّيَرة»[(٤)] منهي عنها، فيعلمهم أن يعدلوا إلى أسماء يحصل بها المقصود من غير مفسدة، وقد صرَّحت السيدة عائشة أم المؤمنين[(٥)] رضي الله عنها: «أن الرسول ﷺ كان يُغيّر الاسم القبيح إلى اسم حسن»[(٦)]، وممّا يشهد

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٦٧.

(٢) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مُرّة بن حزن بن عمرو بن جابر الفزاري يكنى بأبي سليمان، نزل البصرة وكان زياد ابن أبيه يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، وكان شديداً على الخوارج وقتل منهم جماعة، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه رضي الله عنه. مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين.. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٥، والإصابة ١/ ٧٦٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، حديث رقم (٢١٣٧).

(٤) مضادة للفأل، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي عليه السلام الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها، والطيرة من أطيرت وتطيرت، انظر: لسان العرب ٩/ ١٧٣.

(٥) سبقت الترجمة لها.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٢٨٣٩). قال الترمذي: مرسل، قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ٦٣٥.

لذلك حديث عبد الله بن عمر[١] ﷺ: «أن ابنة لعمر كان يقال لها: عاصية، فسمّاها رسول الله ﷺ: جميلة»[٢].

«وقد نهانا رسول الله ﷺ كذلك عن الأسماء المشتقة من ألفاظ تحوي في مضمونها معاني التشاؤم والغلظة ليسلم الطفل وأهله من مصيبة هذه التسمية ونكدها»[٣]، فقد روي عن سعيد بن المسيّب[٤] عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ وسلم فقال: «**ما اسمك؟** قلت: حَزَن، فقال: **أنت سهل**، قال: لا أغير اسماً سمَّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة[٥] فينا بعد»[٦].

كما أن النبي ﷺ نهانا عن الأسماء التي فيها تزكية للنفس لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

عن محمد بن عمرو بن عطاء[٧]، قال: سمَّيت ابنتي برَّة، فقالت

---

(١) سبق الترجمة له.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث (٢١٣٩).

(٣) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٧٠.

(٤) هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، الإمام، العلم، أبو محمد، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر ﷺ بالمدينة، كان رجلاً صالحاً فقيهاً وكان لا يأخذ العطاء، مات سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٥، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٨٩.

(٥) الحزْنُ: ما غلظ من الأرض، والجمع: حزون، وفيها حزونة، وقد حزن المكان حزونة، جاؤوا به على بناء ضدّه، وقيل: الحزن المكان الغليظ وهو الخشن. انظر: لسان العرب ٤/ ١١٠.

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب اسم الحَزْنِ، رقم الحديث (٦١٩٠).

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن عمرو بن عطاء العامري، روى عن أبي حميد الساعدي وابن عباس وأبي هريرة، وروى عنه أبو الزناد، وموسى بن عقبة وابن إسحاق، مات بالمدينة سنة (٥٤هـ). انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٧٧١.

لي زينب بنت أبي سلمة[١]: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم**»[٢]، فقال: ما نسمِّيها؟ قال: «**سمُّوها زينب**». والقرآن الكريم ينهى أن يلقب الولد بألقاب ذميمة مثل الأعور والأخرس والأطرش، والقزم. . . . ونحو هذا، وبيَّن أن هذا من ظلم الإنسان لأخيه لما يسببه له من التحقير أو الحُزن أو السخرية والاستهزاء، وتتولد لديه مركبات الشعور بالنقص وآفات العقد النفسية، فلا عجب أن نراه في حالة يرثى لها من الصراع النفسي والحقد الاجتماعي والنظرة المتشائمة للحياة، وما يترتب على ذلك من الحقد والبغضاء بين الناس[٣].

وإن كل هذه الأمور نهى عنها الدين الإسلامي وصرح بها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

٣ ـ الأسماء المنهي عنها:

وعلى المربي أن يُجنب ابنه الأسماء المختصه بالله ﷻ، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرزاق، ولا التسمي بملك الملوك وشاهنشاه ونحو ذلك، فعن أبي هريرة[٤] رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) هي: زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عمرو بن مخزوم المخزومية، ربيبة رسول الله ﷺ، أمها أم سلمة بنت أبي أمية، ولدت بالحبشة وتزوج الرسول عليه السلام أمها وهي ترضعها، وقد حفظت عن النبي ﷺ وروت عنه وعن أزواجه. توفيت قريباً من سنة أربع وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٥، والإصابة ٤/ ٢٥٢١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث (٢١٤٢).

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ١/ ٢٥٤، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٧١.

(٤) سبق الترجمه له.

قال: «**إن أخنع**[(١)] **اسم عند الله رجل يسمَّى ملك الأملاك**»[(٢)]، وأيضاً ما رُوي عن أبي شريح[(٣)] رضي الله عنه أنه كان يسمَّى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلمَ تكنى بالحكم؟**»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟**»، قال: شُريح، مسلم، عبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قال: قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**»[(٤)].

الحكمة من استحباب الاسم الحسن والنهي عن القبيح:

من خلال النصوص المتعددة التي تدعونا إلى اختيار الاسم الحسن وترغِّب فيه، وتنهى في المقابل عن الاسم القبيح وتنفِّر منه، تظهر لنا بعض الحِكم التي يستحسن لنا أن نقف عليها لما فيها من معانٍ وتوجيهات طيبة، **ومنها**:

١ ـ أن المرء يدعى بهذا الاسم في حياته الدنيا وسيدعى به في الآخرة على رؤوس الخلائق، وهو ما يعرف به ويميزه عن غيره.

٢ ـ أن الاسم مثار إيحاء المعاني الخيِّرة التي يحملها كلما هتف به هاتف أو دعاه به داع، فيطبع فيه آثار هذه المعاني الطيبة حتى تصبح له خُلقاً حميداً يتخلَّق به.

---

(١) أي: أذلها وأوضعها. انظر: لسان العرب مادة: (خ ن ع) ٥/ ١٦٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، رقم الحديث (٦٢٠٦)، ومسلم، كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، حديث رقم (٢١٤٣)، بلفظ: إن أخنع.

(٣) هو: أبو شريح الخزاعي، الكعبي، خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى بن معاوية من بني عدي بن عمرو بن ربيعة، أسلم قبل الفتح، روى عن النبي ﷺ أحاديث، مات بالمدينة سنة ثمان وستين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٣، والإصابة ٤/ ٢٢٦٣.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، رقم الحديث (٤٩٥٥). وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤٢، وقال: حديث صحيح.

٣ ـ إن في الاسم عامل حثٍّ لصاحبه للتأسي بمن سُمِّي به من الصالحين والمبدعين، فيقتدي بهم في حياته، ويسير على دربهم، ويتشبه بحالهم.

٤ ـ أن الطفل وأهله يَسْلَمون من الأسماء التي فيها معاني الشؤم والحزن والمصيبة؛ فلا تتأثر النفوس بذلك ولا ينعكس ذلك على السلوك.

نخلص في مسألة حسن اختيار الاسم للولد أن القرآن الكريم قد سلط الضوء على أهمية اختيار الاسم الحسن للولد كما ظهر في آية مريم، أما التفصيل في هذه المسألة فقد غذته السُّنَّة النبوية المطهرة، التي اختارت أسماء يحسن التسمية بها، وذكرت أسماء يحسن اجتنابها، وأسماء يحرم التسمية بها، أما الآثار التربوية لكل ذلك فقد ظهر لنا منها أن الاسم الحسن ذو إيحاء بالمعاني الخيرة الكامنة فيه مما يترك أثره على سلوك الناشئ، فإن كان الاسم موافقاً لاسم أحد الصحابة أو فضلاء التابعين فالإيحاء يكون بتمثل صاحب الاسم الأصلي في أفعاله وصفاته. وأخيراً فإن ترك التسمية بالرديء من الأسماء تجنيب للناشئ للكثير من العقد النفسية التي تنشأ عن تلك التسمية الخاطئة.

ثانياً: الرحمة والحب للناشئة:

إن الرحمة صفة كريمة، وهي عاطفة حية نابضة بالحب والرأفة، وهي في أفقها الأعلى وامتدادها صفة المولى تباركت أسماؤه[(١)]، «فبرحمته يدخل المؤمنون في جنته، وبرحمته يغفر للمسيئين، وبرحمته يستجيب للمضطرين، وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معاني الرحمة والكرم، والفضل والعفو»[(٢)]، فهو سبحانه خير الراحمين: ﴿وَقُل رَّبِّ

(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص١٨٧.
(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمٰن حسن حبنكة ٢/١٦.

﴿ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون]، «فالرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف»[(١)]، وقد تمثلت الرحمة في شخص الرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

والرحمة بالأولاد من أهم الغرائز التي فُطر عليها الإنسان وجعلها الله أساساً من أسس الحياة النفسية تتطلبها وتقوم عليها، وتتحمل الأسرة وقوامها الأبوان مسؤولية رحمة الأولاد ومحبتهم والعطف عليهم، فبها ينشأون نشأة نفسية صحيحة، تعمر قلوبهم الثقة ويشيع في نفوسهم الصفاء[(٢)].

والرحمة بالناشئة تتجلَّى في **عدة مظاهر أهمها**:

١ ـ الرحمة بالصغار:

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في الرحمة حيث كان يعامل الصغار بكل رأفة وشفقة ورقة، فيقبِّلهم ويمسح على رؤوسهم ويحملهم على ظهره، فقد كان يقرِّب الحسن[(٣)] والحسين[(٤)] ويقبِّلهما وغيرهما من الصغار، ويعطيهم من الحنان والشفقة ما يحتاجون، ومن الأمثلة على رحمته بالصغار، أن الرسول ﷺ كان يأخذ أسامة بن زيد[(٥)] فيقعده على

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٩٧.

(٢) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة، محمد علي الهاشمي ص٩٥.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبد الله، الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ. قُتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، واختلف في سن الحسين يوم قتله، فقيل: قتل وهو ابن سبع وخمسين، وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب ١/ ٣٩٦، والإصابة ٢/ ٨١.

(٥) هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى، يكنى أبا محمد وقيل: أبو زيد، وهو مولى الرسول ﷺ، أمه أم أيمن، حاضنة النبي ﷺ، سكن المزّة ثم انتقل إلى المدينة، له فضائل كثيرة وأحاديثه شهيرة، توفي بالمدينة سنة (٥٤هـ) وهو ابن (٧٥) سنة.
انظر: أسد الغابة ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦، وتهذيب التهذيب ١/ ١٩٨.

فخذه ويقعد الحسن بن علي[١] على فخذه الآخر ثم يضمهما، ثم يقول: **اللَّهُمَّ ارحمهما فإني أرحمهما**»[٢]، وفي هذا الحديث الشريف بيّن لنا الرسول ﷺ الأسلوب العملي لكيفية إمداد الصغير بالحنان والرحمة والعاطفة من الوضع على الفخذ، والضم، والدعاء، وهذا الأسلوب في التعامل يؤدي إلى غرس الرحمة في قلوب الناشئة وتعويدهم عليها[٣].

وتقبيل الولد يعد من مظاهر الرحمة بالصغير والشفقة به، وكذا الشم والمعانقة[٤]، ومن خلا قلبه من ذلك فإنه لا يكون من أهل الرحمة، فقد قبّل الرسول ﷺ الحسين بن علي[٥] وعنده الأقرع بن حابس التميمي[٦] جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٧].

٢ ـ الرحمة باليتيم:

اليتيم[٨] فرد من أفراد المجتمع، وهو في حاجة إلى رعاية الآخرين من حوله، فله حق على المسلمين بكفالته وبره وجبر خاطره وتأديبه

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، رقم الحديث (٦٠٠٣).

(٣) انظر: علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي ص١٩٤.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٧/ ١٤٧.

(٥) سبقت الترجمة له.

(٦) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي الدارمي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة، وحنين والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، قتل باليرموك. انظر: الإصابة ١/ ٦٤.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٧)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال، حديث رقم (٢٣١٨).

(٨) اليتيم: هو الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، والجمع: أيتام ويتامى. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٠٨، والتعريفات للجرجاني ص٢٥٨.

وتربيته أحسن تربية، وقد أوصى الله ﷻ بالإحسان إليه والحنو والعطف عليه[١]: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، والوصية باليتيم وذلك لأنه فرد ضعيف عديم النصير[٢] يحتاج إلى من يرعاه ويعطف عليه ويشعره بالمحبة والرحمة.

وقد جاء التوجيه القرآني في مواضع متعددة بضرورة الرحمة باليتيم وتجنب كل ما يؤثر في نفسيته **منها**:

ـ إكرام اليتيم والنهي عن قهره وإذلاله وتحقيره، وأمر الله ﷻ بالإحسان إليه والتلطف به وبره[٣]، فجاءت الوصية بالرحمة به في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩﴾ [الضحى]، والقهر المنهي عنه هو «القهر الذي لا يعامل به غير اليتيم»[٤].

ـ عدم معاملته بالقسوة والعنف ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون]، وقد نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب، فكان ينحر كل أسبوع جزورين فآتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ...﴾[٥]، فالدفع العنيف والزجر القبيح الذي يهين اليتيم ويؤذيه إنما يدل على قساوة القلب وخلوه من الرحمة والشفقة، فهذا تأكيد من الله تعالى على حسن معاملة اليتيم واجتناب مثل هذه الأفعال التي لها من الأثر الكبير في سلامة نفس اليتيم، وفيها تحذير للمسلمين من الاقتراب

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص١٧٨.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٥٠.
(٣) انظر: روح المعاني ١٥/ ٢٩٣، تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩١، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧.
(٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٤٠٢.
(٥) أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي ص٢٠٦.

منها لأنها من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء[١].

ـ أمر الله تعالى بالحفاظ على حقوقه والنفقة عليه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ـ وبناء على ما سبق نجد أن الرحمة بالناشئة أمر مهم في تربيتهم تربية نفسية سليمة وأن يكون المربي متحلياً بها، وقد أوصى الله تعالى المؤمنين بهذا الجانب كما أمر رسول الله ﷺ به في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ففي هذه الآية الكريمة يبيِّن الله ﷻ لنا جانباً تربوياً مهماً «لأهمية العطف والرحمة، وبياناً لمضار القسوة والفظاظة والغلظة المنفرة للناس وعدم الصبر على معاشرة صاحبها وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه»[٢]. وفي ذلك تذكير للمربين لتجنب هذه القسوة لما يترتب عليها من بُعد أبنائهم عنهم ونفرتهم منهم، مما يؤدي إلى عدم الاستقرار النفسي والخوف المستمر وعدم الشعور بالحب والحنان، فينشأ الصبي مضطرب الشخصية مسلوب الإرادة، وبالتالي فإنه لا يتعلم الرحمة والحنان والعطف، فلا يرحم غيره، لأن القسوة تجفف في داخل نفسه عاطفة الإحساس بآلام الآخرين وحاجاتهم ومراعاة مشاعرهم.

ثالثاً: العدل مع الناشئة:

حث المنهج القرآني على العدل «الذي يكفل تماسك الجماعات

---

(١) انظر: روح المعاني ١٦/ ٤٣٥، وتفسير السعدي ص٩٣٥، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٩٨٥، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٥.

(٢) تفسير المنار ٤/ ١٦٢.

واطمئنان الأفراد، فهو يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض وإنما توسط لا إفراط ولا تفريط، وقد جاء الأمر الرباني بتحقيق العدل في المعاملة مع الخالق والمعاملة مع المخلوقات سواء في الأقوال والأفعال»[١]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

ومن الواجبات المترتبة على المربين نحو أبنائهم أن يعدلوا بينهم، فالعدل في تربية الأولاد من أعظم العوامل التي تؤثر في سلوك الناشئ.

ومن مظاهر عدل الوالدين مع الناشئة:

ـ «العدل في المحبة بين الأولاد وتربيتهم على المحبة والعدل في العاطفة بينهم واجتناب تفضيل بعضهم على بعض بما يعده المفضول إهانة له ومحاباة لأخيه بالهوى، وفي تحقيق العدل اتقاء لوقوع التحاسد والتباغض بينهم كما جاء في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته»[٢]: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف].

وأيضاً لا ينبغي أن يحنو الوالدين على الأبناء الذكور دون الإناث فلا يقبَّل إلا الذكور، وإن تقبيل طفل صغير من قبل والديه أمام أخيه الصغير يحدث في نفسه جرحاً لا يلتئم، ويشعر بحرمان العاطفة التي فقدها، وهذا الحرمان يؤثر في نفسيته في المستقبل[٣]، وإذا التزم الوالد بالمساواة بين ابنه وابنته كان جزاؤه الوقاية من النار كما وعد بذلك الرسول ﷺ بهذا الجزاء، فعن عائشة[٤] قالت: دخلت امرأة معها ابنتان

---

(١) فتح القدير ٣/ ٢٣٦، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢١٩٠ بتصرف، والتحرير والتنوير ٧/ ٢٥٥.

(٢) انظر: تفسير المنار ١٢/ ٢٢١.

(٣) انظر: الطفولة في الإسلام، سليمان عبيدات ص٧٧.

(٤) سبقت الترجمة له.

لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال النبي ﷺ: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار**»(١).

ولأن في هذه المساواة من قبل الأب بين الذكر والأنثى مخالفة لعادة الجاهلية التي تبدأ من الكراهية للأنثى وتتسع إلى دفنها وهي حية: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

العدل في العطية والهبة:

إن التسوية بين الأبناء في العطية دعا إليه: المربي الأول الرسول ﷺ حتى يتربى الأبناء على التراحم والتعاطف بينهم، وحتى لا يشبوا وهم يحقد بعضهم على بعض، فعن النعمان بن بشير(٢) أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت(٣) ابني هذا غلاماً، فقال: «**أكُل ولدك نحلت مثله؟**»، قال: لا، قال: «**فارجعه**»(٤).

وفي رواية: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**»، قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، رقم الحديث (١٤١٨).

(٢) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، روى عن النبي ﷺ، مات سنة ٦٥، وقيل: ٦٦. انظر: أسد الغابة ٥/ ٣١٠، وتهذيب التهذيب ٦/ ٥٥٧.

(٣) النِّحلة: العطية بغير عوض ولا استحقاق. انظر: فتح الباري ٤/ ٦٦، والنهاية في غريب الحديث ص٩٠٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم الحديث (٢٥٨٦)، ومسلم كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم الحديث (١٦٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهار في الهبة، رقم الحديث (٢٥٨٧).

ومما سبق تبين لنا أن للقرآن الكريم مواقف من قضايا حثَّ عليها، كرعاية الصغير واليتيم والرحمة بهما، وتحقيق العدل بين الأولاد في المحبة، وفي الهبات، وفي المعاملة على حد سواء، لينشأ الصبي نشأة بعيدة عن الشعور بالظلم والحقد وهو يترعرع في حبّ غامر من أبويه فينشأ نشأة سليمة.

المبحث الثالث
العلل والانحرافات النفسية الناتجة عن مخالفة المنهج القرآني في تربية الناشئة وعلاجها في ضوء القرآن الكريم

❐ **تمهيد:**

نظَّم القرآن الكريم شؤون الأسرة وعلاقات أفرادها حماية لهذه الأسرة وعملاً على تهيئة أحسن الظروف التربوية والنفسية حتى يعيش الناشئ في بيئة سويَّة خالية من المشكلات، قائمة على أسس من الصحة النفسية السليمة حتى تساعده على حسن التوافق النفسي في مراحل حياته وخاصة مرحلة الطفولة التي تعتبر من أهم مراحل حياة الإنسان وأكثرها خطورة، لما تتميز به عن غيرها من صفات وخصائص واستعدادات؛ إذ هي الأساس لمراحل تالية، وفيها تأخذ شخصية الطفل بالبناء والتكوين، وهي سنوات على درجة من الأهمية، «وخاصة السنوات الخمس الأولى في حياة الفرد، حيث توضع في هذه الفترة نواة وأسس بنيتها، وهذه الفترة هي التي يكون فيها الطفل داخل نطاق الأسرة ويتأثر بها كل التأثير، فإذا وضعت الأسرة في الطفل أسساً سوية، شب الطفل سوياً متمتعاً بالصحة النفسية وقادراً على التوافق السليم، أما إذا وضعت فيه أسساً غير سوية، شبَّ الطفل مريضاً عاجزاً عن التوافق السليم»[1]. وتعرضه لبعض العلل والانحرافات النفسية التي حذر منها القرآن الكريم،

(١) الصحة النفسية للطفل والمراهق، وجدان عبد العزيز الكحيمي، وآخران ص١٠١.

وأرشد إلى الصحيح منها كما عرضنا في المبحث السابق. ومن هذه العلل على سبيل المثال: الرعاية الزائدة، والحنان المفرط، والتمييز في المعاملة بين الأبناء، وغيرها من العلل التي سأتحدث عنها من خلال هذا المبحث.

❐ أولاً: الخوف:

١ ـ الخوف في اللغة:

«الفزع، وخافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة، ومنه: التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف وهو الفزِع»[(١)].

وقال ابن فارس[(٢)]: «الخاء والواو والفاء، أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة، والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة»[(٣)].

٢ ـ الخوف في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهاني[(٤)]: «هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة»[(٥)].

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٧٩، وانظر: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٤/ ١٣٥٨.

(٢) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين وأقام في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة (٣٩٥هـ) وإليها نسبته، من أشهر كتبه: «مقاييس اللغة»، و«المجمل»، و«جامع التأويل» في التفسير.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣، والأعلام ١/ ١٩٣.

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠.

(٤) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب، سكن بغداد، قال أبو نعيم عنه: كثير الحديث، وصاحب معرفة وإتقان، صنف عدة مصنفات منها: «الأخلاق»، «جامع التفاسير» «المفردات في غريب القرآن»، اختلف في سنة وفاته فقيل: (٣٦٩هـ)، وقيل: (٥٠٢هـ). وقيل غير ذلك. انظر: طبقات المفسرين ص١١٢، والأعلام ٢/ ٢٥٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص١٦٦.

وقيل: «هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن، والتيقظ لنداء الوعيد، والحذر من سطوة العقاب»[١].

وقيل أيضاً هو: «توقع مكروه أو فوات محبوب، وقيل: حذر النفس من أمور ظاهرها يضره، وقيل: غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء»[٢].

والخوف في نظري نوعان:

خوف إيجابي مشروع يعدّ واقياً للإنسان من المخاطر، وخط دفاع ضد ما يواجهه من أخطار. **وخوف سلبي** ينشأ عن ترسب عادات سيئة في محيط البيت والأسرة تركت بصماتها على الناشئ، فينشأ سقيم النفس متردداً جباناً.

ومن أهم أسباب نشوء الخوف السلبي ما يلي:

١ ـ القسوة في التعامل مع الأولاد:

وتتمثل تلك القسوة بالغلظة المستمرة والتوبيخ المتواصل والازدراء والتحقير والسخرية والنهي والنقد والعقاب والمقاومة لرغبات الأطفال، فهناك من الآباء من يبدو صارماً في معاملته لأطفاله لدرجة أن كلمة (لا) تتردد دائماً على لسانهم عندما يقوم الأبناء بعمل من الأعمال، أو يطلب طلباً غير مقبول لديهم، وقد نهى الدين الإسلامي عن هذه القسوة لما لها من أثر سيئ في سلوك وخُلق الطفل من تقييده بأغلال الخوف والانكماش اللذين يظهران على تصرفاته وأفعاله[٣].

ولعل من أبرز أسباب التربية القاسية عند الآباء تأثرهم بما لاقوه

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية ص٣٦٢.
(٢) التعريفات ص١٠١، وانظر: التعاريف للمناوي ٢/ ٣٢٨.
(٣) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص١٠٥.

هم من سوء معاملة والديهم، أو محاولتهم تحقيق مطامح لم يستطيعوا تحقيقها في ذواتهم فأرادوا تحقيقها عنوة في أبنائهم، ومهما تكن أسباب لجوء الآباء إلى مثل تلك المعاملة القاسية، فإن الأهم ما تتركه تلك المعاملة من آثار على الناشئة، **وأبرز تلك الآثار والنتائج**:

١ ـ المبالغة في الأدب والاستكانة تحاشياً لقسوة التعامل من الوالدين، ويترتب عن هذا: شخصية ضعيفة غير قادرة على المناقشة وتحقيق الذات.

٢ ـ التوكل والاعتماد على الآخرين في كل شيء، وذلك لأن بعض الآباء لا يَدعُون أبناءهم يفكرون ويستخدمون عقولهم.

٣ ـ ضعف الثقة بالنفس والشعور بالعجز والقصور، لأن الطفل تعوَّد أن يكون تابعاً لا متبوعاً[(١)]، وضعف الثقة بالنفس لها مظاهرها على الناشئ، منها: «التردد، وانعقاد اللسان في المجتمعات، والتهتهة[(٢)]، واللجلجة[(٣)]، والانكماش، والخجل، وعدم القدرة على التفكير المستقل، وعدم الجرأة وتوقع الشر، وزيادة الحرص، ومن الغريب أن من مظاهره التهاون والاستهتار والنقد والسخرية من الآخرين. ولا شك في أن هذه الخصلة الهدامة المفككة للشخصية إنما تتكون في السنوات الأولى من حياة الطفل ويغرسها في نفسه أعز الناس وأقربهم إلى قلبه وهما الوالدان»[(٤)].

---

(١) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص١٠٥، ١٠٦، ومبادئ الصحة النفسية، محمد الطحان ص٣٠٧.

(٢) هي: التواء في اللسان مثل اللَّكْنَة. انظر: لسان العرب ٢/ ٢٤٢، والمعجم الوسيط ص٨٩ ـ ٩٠.

(٣) هي: التردد في الكلام، وأن يتكلم الرجل بلسان غير بيِّن. انظر: لسان العرب ١٣/ ١٧٢.

(٤) أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي ص٣٢٧.

ـ علاج ظاهرة قسوة الآباء في القرآن الكريم:

أولاً: إن القرآن الكريم منهاج قويم بتعاليمه القويمة الخالدة بما فيه من توجيهات، لمن كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ولا سيما الآباء والأمهات منهم، فهو يأمرهم جميعاً بأن يتحلوا بالملاطفة الرصينة والمعاملة الرحيمة حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة.

ومن هذه التوجيهات: الرحمة بالأولاد: وهي تتطلب رقة في القلب وحساسية في الضمير وإرهافاً في الشعور، وتستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم، والعطف عليهم، وهي من المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبَي الأبوين، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد وفي إعدادهم وتكوينهم أفضل النتائج وأعظم الآثار.

والقلب الذي يتجرد من خُلق الرحمة يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية، ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد[(١)]. ولهذا فقد بيَّن الله تعالى أنه قد جبل نبيَّه على الرحمة واللين والشفقة، فتأثر به الناس وأقبلوا عليه وأحبوه وانقادوا له، ولو كان قاسياً غليظاً لتفرّق الناس من حوله وأعرضوا، ولما استطاع أن يغيِّر في حياتهم وتوجهاتهم ومسالكهم[(٢)]، وقد جاء هذا البيان في كتابه العزيز: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالمربي لا بد أن يكون رحيماً؛ «لأن الناس في حاجة إلى كنف

---

(١) انظر: تربية الأولاد، عبد الله علوان ١/ ٤٣ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ٢٧٨ بتصرف.
(٢) علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي ص٣٠٠.

رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء»[(١)].

ويأمر سبحانه بالعفو ويمتدح من يفعله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومن الرحمة بالأولاد القول الحسن اللطيف عند التعامل معهم: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

«فالطفل الذي يخطئ ويعرف أن السَّوط ـ لا سواه في الدار ـ سيروح شارداً لا يرجع إلى الدار أبداً. ولكنه إذا علم أنه إلى جانب السوط يداً حانية، تُرَبِّت على ضعفه حين يعتذر من الذنب وتقبل عذره، فإنه سيعود»[(٢)].

وقد اهتم الرسول ﷺ بالرحمة وحرص على تحلي الكبار بها، فعن عمرو بن شعيب[(٣)] عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»**[(٤)].

«إن تلبية الحاجات كلها من مأكل ومشرب ومسكن وغذاء فكري وفوقها المداعبة والملاعبة وحتى القبلة، تعتبر جميعها من الضرورات،

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٩٤، ٤٩٥ بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٧٠.

(٣) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أبو إبراهيم، سكن مكة وكان يخرج إلى الطائف، كان أحد علماء زمانه وهو من رجال الحديث. توفي بالطائف سنة ثماني عشرة ومائة.. انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٤٣، والأعلام ٥/ ٧٩.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٤٣)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث رقم (١٩٢٠)، وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤١، وسنن الترمذي ص٤٣٩.

بل جزءاً من حقوق الطفل المترتبة على أبويه، وبالموازنة فيما بينها جميعاً ننشئ طفلاً سليماً»[١].

ثانياً: إن الله ﷻ قد حثَّ في كتابه الكريم على الرحمة والرفق بالأطفال، ولكنه ـ مع ذلك ـ وجه إلى استخدام العقوبة في الحالات التي تلزم الآباء استخدامها، «فالتربية بالعقوبة أمر طبيعي بالنسبة للبشر عامة والطفل خاصة، وذلك لأن الأجيال التي تنشّأ في ظل تحريم العقوبة ونبذ استخدامها أجيال مائعة لا تصلح لجديات الحياة ومهامها، والتجربة أولى بالاتباع من النظريات مهما كانت لامعة ومغرية، والعطف الحقيقي على الطفولة هو الذي يرعى صالحها في مستقبلها لا الذي يدمر كيانها ويفسد مستقبلها»[٢]. ولا يعني ذلك استعمال العقوبة بشكل مطلق، ولكن حسب قواعد تنظم استعمال العقوبة بحيث تؤدي الغرض منها دون أن يتعرض المعاقَب للضرر الجسمي أو النفسي.

ومن هذه القواعد:

١ ـ التدرج في استعمال العقوبة من الأخف إلى الأشد: «فينبغي على الوالدين التدرج في العقوبة من الأخف، ويتمثل ذلك بالتوجيه إلى الخطأ والتنبيه عليه بالموعظة والنصيحة. وللقول الحسن والتوجيه قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣]. ثم يتم التدرج حتى المرحلة التالية من العقوبة.

٢ ـ اللَّوم والتأنيب والتوبيخ: إن لوم الناشئ وتأنيبه له تأثيره القوي

(١) الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة ص٥٩.
(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

على نفسيته وذلك بأن يتضح أمامه خطأ عمله وتصرفاته فيلوم نفسه، ويدرك بأنه السبب فيما وصل إليه من خطأ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن أبي ذر[(١)] قال: «إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»[(٢)].

٣ ـ المقاطعة والهجر: وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في عقاب الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم: وكان الهجر متمثلاً في عدم الكلام معهم أو تحيتهم أو مجالستهم، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١١٨].

فمن الهجر مع الناشئة والمقاطعة: الإعراض عن الولد المسيء، وكذلك التعبيس في وجه المخطئ والمقصر دور عظيم في ردعه عن تقصيره، «وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على نوع من أنواع الإعراض وهو التعبيس، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس]».

٤ ـ الضرب: إن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام، وهو يأتي

---

(١) هو: أبو ذر الغفاري: الزاهد الصادق، اختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة، كان من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من حيّا النبي ﷺ بتحية الإسلام، كانت وفاته بالربذة سنة (٣١هـ)، وقيل التي بعدها. انظر: الاستيعاب ١/ ٢٥٢، والإصابة ٤/ ٢٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم (٣٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم الحديث (١٦٦١).

بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف، ولا يلجأ إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والإصلاح، وحتى لا تكون القسوة من الوالدين هي البداية والمنطلق الوحيد في تربية الأبناء.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وعن عمرو بن شعيب[(١)] عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[(٢)].

والإسلام حين أقر عقوبة الضرب فإنه، أحاط هذه العقوبة بشروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفي والانتقام، **وهذه الشروط**:

١ ـ الابتعاد عن الأماكن الحسَّاسة في الضرب مثل: الوجه، والرأس، والصدر، والبطن؛ لأن الضرب في هذه المواضع يؤدي في بعض الأحيان إلى أضرار بالغة قد تصل إلى درجة الوفاة.

٢ ـ التدرج في الضرب، فيكون في المرات الأولى غير مبرح وغير شديد وأن يكون على اليدين والرجلين بعصا غير غليظة، وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحلم.

٣ ـ قيام المربي بضرب الولد بنفسه وعدم ترك هذا الأمر لأحد من

---

(١) سبقت الترجمه له.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث (٤٩٥)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٨٢: حديث حسن صحيح.

الإخوة أو من الرفقاء؛ حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات[١].

٤ ـ تجنُّب السخرية أثناء العقاب من الأولاد بسبب أخطائهم، وعدم السماح للأبناء الآخرين بالسخرية منه تطبيقاً لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات: ١١].

٢ ـ التدليل المفرط والترف الزائد:

إن التدليل المفرط «نوع من المبالغة في التساهل مع الطفل بحيث يستجيب الوالدان أو أحدهما لمطالبه مهما كانت هذه المطالب، ويغضُّون الطرف عن كل ما يرتكب من أفعال تقتضي التأديب والعقاب»[٢].

أسباب التدليل المفرط عند معاملة الأبناء:

١ ـ وجود الطفل بعد فترة طويلة من الزواج، أو كونه وحيداً بين عدد من الأخوات.

٢ ـ فقدان الأب ولجوء الأم للتدليل المفرط لتعويض الابن عن هذا الفقد.

٣ ـ شعور أحد الوالدين بالحرمان والسيطرة في أيام الطفولة، فيبالغ في التساهل مع أولاده وتوفير كل طلب لهم ليجنبه ما حصل له من قسوة أثناء الصغر.

٤ ـ تعوّد الأب أو الأم على التدليل منذ الصغر ويريدون أن يتبنوا نفس الدور في معاملة أبنائهم[٣].

---

(١) انظر: تربية الأولاد، عبد الله علوان ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١.
(٢) مبادئ الصحة النفسية، محمد الطحَّان ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٠٢، ٣٠٣.

٥ ـ قيام الوالدين بأمور تزيد من التدليل عند الناشئة مثل عدم السماح للولد بالقيام بأعمال أصبح قادراً عليها اعتقاداً أن هذه المعاملة من قِبَلِ الشفقة والرحمة، وأيضاً إغراق الوالدين أبناءهم في حياة الترف والتنعم.

ويترتب على هذه المعاملة الوالدية آثار معينة في تكوين شخصية الناشئة، **ومن هذه الآثار:**

١ ـ عدم تحمل المسؤولية والحاجة الدائمة إلى المساندة والمعونة من الآخرين.

٢ ـ عدم التعاون مع الآخرين واعتياد الطفل الأخذ دون العطاء.

٣ ـ عدم الاعتماد على أنفسهم واتخاذ القرار لوحدهم والتخطيط لحياتهم بمفردهم.

٤ ـ عدم القدرة على مواجهة صعوبات الحياة والشعور بالإحباطات التي تعرضهم لبعض مظاهر الاضطراب النفسي، مثل قضم الأظافر، والأزمات العصبية، والتبول، وثورات الغضب[(١)].

٥ ـ حدوث الخجل وفقدان الشجاعة، وضعف الثقة بالنفس، والتدرج نحو الميوعة.

ـ علاج هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم:

١ ـ العلاج عن طريق الاعتدال والتوسط في معاملة الناشئة، فقد امتدح الله ﷻ الأمة الإسلامية بأنها أمة وسطاً، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن الاعتدال التوسط بين القسوة والرحمة أو التدليل عند معاملة

---

(١) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص٩٨، ٩٩، ومبادئ الصحة النفسية ص٣٠٣، ٣٠٤.

الناشئ، بمعنى أن التربية الرقيقة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة واستواء، ولكن التربية التي تزيد في الرقة واللطف والحنو تضر ضرراً بالغاً؛ لأنها لا تنشئ كياناً له قوام، وينبغي على الأم المسلمة أن تدرك بأنه لا شيء يحول بينها وبين عطاء الطفل حاجته الطبيعية من الحنان والحب والرعاية، وأنه إذا حُرم منها يفسد كيانه كله، وأن تدرك أن هناك قدراً مضبوطاً من الحب والحنان والرعاية، وهذا هو المطلوب، وأن الزيادة فيها كالنقص، فالزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي إلى رخاوة الكيان النفسي للطفل، والرخاوة عيب في البناء يؤدي إلى عدم تماسكه وعدم صلاحيته للاعتماد عليه في مهمات الأمور(١).

وينبغي أن يتجنب الوالدان تضارب آرائهما أمام الأولاد فلا يأمر الوالد بأمر وتأمر الأم بخلافه، لأن ذلك يشتت الأولاد ويحيرهم فلا يعرف الصواب من الخطأ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

ومن التعارض بين الوالدين في معاملة أبنائهم بأن يظهر الأب بمظهر القسوة والأم بمظهر الرأفة، «وهذا من شأنه أن يولد نفور الابن من والده وقربه من والدته مما يدعوه للكذب للانفلات من العقاب وتبرير التصرفات، فلا بد من الاعتدال والتوسط في الأمور كلها، ولا بد من إشعار الصبي بمحبة والده وشفقته عليه، ومحبة والدته لأدبه وتحلّيه بالفضائل وتخليه عن الرذائل»(٢).

ومن الاعتدال التوسط في الإنفاق على الأبناء: لأن من الأبناء من يضيع؛ بسبب تقتير الآباء وإسرافهم وذلك بحرمانهم الكثير من

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢/ ١١١.
(٢) انظر: الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، سعيد عبد العظيم ص١٠٦، ١٠٧.

ضروريات الحياة حباً بالمال ورغبة في جمعه، وبالتالي يبتعد الابن عن فضيلة التوسط بأن يكون جشعاً نهماً ينتهب الأموال ويكثر من الإنفاق بلا مبرر، ويضيِّع ثروة والده، أو يكون شحيحاً مقتراً، فإن تلبية رغبات ومتطلبات الأبناء أمرٌ ضروري ولكن التوازن والتوسط هو المقصد الشرعي[١] استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان].

٢ ـ العلاج عن طريق «تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين والناشئة»:

فينبغي على الأبوين الاعتقاد بأن كل ما يصيب أولادهم من صحة أو مرض، أو ما يتعرضون له من نعمة أو شقاء، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم أو ابتلاء بغنى أو فقر، إن كل ذلك بمشيئة الله وبقضائه وقدره[٢].

وقد أرشدنا ﷻ إلى ذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد]، وقال سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشورى].

وهناك تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الناشئ أيضاً وتنشئته منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله والعبادة له والتسليم لجنابه في كل ما يصيبه، ولا شك أن الناشئ إذا تربى على هذه المعاني وعوِّد عليها فإنه لا يخاف إذا ابتُلي، ولا يهلع إذا أُصيب، وإلى هذا أرشد القرآن الكريم

---

(١) انظر: تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد الناصر، خولة درويش ص٢٧٤.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام ١/٢٤٨.

حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

٣ ـ العلاج عن طريق تعويد الأبناء التقشف وعدم الاستغراق في التنعم:

ويجب على الوالدين تعويد أبنائهم عدم الاستغراق في التنعم حتى يشعر الولد بكيانه ووجوده وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته، وإن إعداده وتنشئته على هذا المسلك إنما هو إعداد لما سيكون عليه عندما يكبر وما يكون عليه من واجبات ومسؤوليات تجاه أمته، فنحن نعد فتًى صغيراً لأن يكون بطلاً شجاعاً قادراً على خوض الصعاب وتخطي الأزمات.

فالإسلام قد نبَّه إلى ما سوف يحدث في آخر الزمان من الفتن وغربة الدين وتكالب الأعداء على المسلمين مما نشاهده في عصرنا هذا من الفتن المتلاحقة حتى أصبح المسلم في حيرة من أمره، ولكن السبيل والطريق إلى ذلك إعداد نشء قوي بُنِيَ على قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وينبغي تثبيت الإيمان في قلوب الناشئة من خلال قول الرسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف وفي كل خير. اِحرِص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو إني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، رقم الحديث (٢٦٦٤).

ومما يساعد على تقليل حذف ظاهرة الميوعة تغذية الناشئة بمغازي رسول الله ﷺ، ومواقف السلف البطولية، وتأديبهم على التخلق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين والصحابة والتابعين، ليتطبّعوا على الشجاعة؛ فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلِّمون أولادهم مغازي رسول الله ﷺ كما يعلِّمونهم السورة من القرآن(١).

وذلك أكثر فائدة من سرد القصص الخرافية التي تجلب الخوف والفزع عند النشء وقد تؤدي بهم إلى أحلام مفزعة، ومن تلك القصص من سيرة أبناء الصحابة الكرام مواقف بطولية خالدة.

وأن يتجنبوا تخويفهم بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة عند بكائهم أو عند ارتكابهم سلوكاً غير مقبول؛ كتخويفهم بالغول أو الحرامي وغيرهم من المجهولات، والعمل على تحرير الطفل من شبح الخوف حتى ينشأ على الشجاعة والإقدام. وهكذا عندما يتربى الناشئة على هذه الخصال وعلى هذه التوجيهات القرآنية، فإن هذا الجيل يتحول من الخوف إلى الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٣ ـ المشاجرات بين الوالدين:

إن الشجار والصراع بين الوالدين يجعل الطفل يعيش في جو من الاضطراب وانعدام الأمن، بالإضافة إلى جانب فقده الثقة في والديه وفي سلطتهما مستقبلاً وفي الناس جميعاً، ويجعل الطفل في حيرة بين أمه وأبيه مما يعطيه فكرة سيئة عن الأسرة وعن الحياة الزوجية.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٤٢.

فمن أسوأ ما يؤثر في نفس الطفل، الخلاف بين الأبوين على مسمع من الأطفال «الذي قد يصل أحياناً إلى الشتائم والاتهامات والألفاظ الجارحة التي تسبب للطفل القلق والاضطراب وعدم الشعور بالطمأنينة الضرورية والأمن اللازم لصحته النفسية.

كما أن الطفل يتعلم عن طريق المحاكاة ما يستوعبه عقله، وما تتشربه نفسه من ألفاظهما، وأخطر من ذلك إذا غرس كل من الأبوين في نفوس هؤلاء كره الآخر، فتصبح الأسرة وكأنها أحزاب متعارضة متصارعة»[(١)].

علاج ظاهرة المشاجرات بين الوالدين في القرآن الكريم:

ولهذا فقد دعا الله ﷻ في كتابه الكريم إلى أن تكون العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة الثابتة والألفة العميقة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

كما دعا إلى حسن المعاشرة بين الأب والأم لترفرف على الأسرة رايات الوئام والمحبة. فيتنفس الطفل هواء الأمن والطمأنينة في ظل أسرة تعيش في بحبوحة من الأمن، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال ﷺ: «**لا يفرك[(٢)] مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**»[(٣)].

فإذا ما اشتد النزاع واستمر الخلاف وتحوَّل الأمر إلى شقاق، جاء

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد الناصر، خولة درويش ص٦٥ ـ ٦٦.
(٢) الفرك: البغض. لسان العرب ١٠/ ٤٧٤.
(٣) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث (١٤٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

وعند استمرار الخلاف بين الزوجين واستعصى الوفاق على الحكمين عمد الإسلام إلى التفريق بين الزوجين على أسس تضمن لكلٍّ منهما حقوقه قِبَلَ الآخر، وتضمن للأولاد أنسب مستوى من العيش الطيِّب بعد ما استحال عيشهم في كنف الأسرة، فبيّن أسس الحضانة ومقومات النفقة والولاية وغير ذلك من الأحكام»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]. وقال جل شأنه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق].

ويعتبر الفراق بين الزوجين مخرجاً لإنقاذ الأطفال من الصراع النفسي، وحماية للناشئة من الضياع والتشرد، ورغبة في إيجاد نشء سوي لا يعتريه النقص النفسي ولا يتأرجح في سلوكه المستقبلي، ومن الواجب على الوالدين في خضم خلافاتهما ومحاولاتهما إنهاء حياتهما الزوجية ألا ينسيا دورهما كوليي أمر لهؤلاء الأطفال وواجبهما في التخفيف من حدة الانفصال المؤلم على أبنائهما.

❐ ثانياً: الغيرة عند الناشئة:

تعريف الغيرة في اللغة:

قال ابن منظور[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: الغَيرة بالفتح، المصدر من قولك: غار

---

(١) الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة، عبد الله العميريني ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) هو: محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حنيفة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، اختصر كثير من كتب الأدب المطولة كالأغاني، =

الرجل على أهله، وغار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها، يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء، لأن فعله لا يشترك فيه الذكر والأنثى[١].

وقال ابن حجر[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغيرة بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها راء، وقيل: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص»[٣].

والغيرة في الاصطلاح: «كراهة شراكة الغير في حقه»[٤].

فالغيرة ليست سلوكاً ظاهرياً وإنما هي حالة انفعالية تتركب «من الغضب والحقد والخوف، كما أنها انفعال مكدر يشعر صاحبه به عندما يدرك وجود من ينافسه على مركز أو مكانة أو منصب أو حب أو أي شيء آخر، ويجد في حصول منافسه عليها حرماناً منها أو تهديداً له بالحرمان من الحصول عليها»[٥].

أسباب الغيرة عند الناشئة:

١ ـ المفاضلة بين الإخوة:

لقد صوَّر القرآن الكريم انفعال الغيرة الناتج عن هذه المفاضلة

= والعقد والذخيرة، كان عارفاً بالنحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة، توفي في شعبان سنة (٧١١هـ).
انظر: أبجد العلوم، صديق الفنوجي ٣/ ١٠.

(١) انظر: لسان العرب ١١/ ١٠٨.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد وتوفي بالقاهرة، أقبل على الحديث وكثرت مصنفاته وكتبه، ومن أشهر مصنفاته: «فتح الباري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، و«الدرر الكامنة» وغيرها كثير توفي سنة (٨٥٢هـ).
انظر: الأعلام ١/ ١٧٨.

(٣) فتح الباري ٢/ ٥٦٤.

(٤) التعريفات ص١٦٣، وانظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية ٣/ ٤٥.

(٥) مشكلات الطفل النفسية، محمد عبد المؤمن ص١٤٩، وانظر: القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص٩٨.

تصويراً رائعاً متمثلاً في غيرة إخوة يوسف عليه السلام، فقد كان يعقوب عليه السلام يخصّ يوسف عليه السلام وأخوه برعاية خاصة ويؤثرهما بالحب والعطف والحنان خاصة؛ «لصغرهما وموت أمهما، وهذا من حب الصغير وهي فطرة البشر»[(١)]، ولكن نار الغيرة اشتعلت في نفوس الإخوة واجتمعوا وتشاوروا بالقيام بأمر يبعد يوسف عن أبيه وعن حبه، وبالتالي يَخْلُ لهم وجه أبيهم ويتفرغ لهم بالشفقة والمحبة: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف].

٢ ـ القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفرقة بين الأطفال أو كثرة المديح والإطراء:

فالقسوة والشدة في العقاب «تدفع الأولاد إلى الفساد والكذب والنفاق خوفاً من الضرب والإهانة أو التوبيخ، وبسببها يتعلمون المكر والخداع والتظاهر بغير ما في نفوسهم، فتصبح تلك الصفات الفاسدة من طبائعهم»[(٢)]. وتعد هذه الأمور من أهم الأجواء التي تنتشر فيها الغيرة؛ لأنها تعتمد في طريقة إخفائها وتحقيقها إلى كل هذه الصفات من الطفل الغيور.

٣ ـ الاختلاف المعيشي بين الأسر والمستوى الاقتصادي بينهم يؤدي إلى الغيرة بين الأبناء[(٣)]:

فالاختلاف في مستوى المعيشة بين الأسر له أثر في ظهور الغيرة

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١.

(٢) انظر: منهج الإسلام في تربية الأولاد، سعد الفقي ص٧٨.

(٣) انظر: الصحة النفسية، وجدان الكحيمي وآخران ص١٥٠، ومشكلات الطفولة والمراهقة، عبد الرحمٰن العيسوي ص١١٩، ومشكلات الطفولة من منظور نفسي إسلامي ص٤٦.

وذلك بسبب الاختلاف في المستوى الاقتصادي، وربما تميزت أسرة داخل العائلة على أسرة أخرى منخفضة المستوى المعاشي، أو قد تكون شديدة البخل على الأبناء، مما يجعلهم ينظرون إلى أبناء الأسرة الأخرى المتميزة وممتلكاتهم وألعابهم بعين تمني الحصول مثلهم على هذه الألعاب، ومن هنا تظهر الغيرة بسبب اختلاف الأسر في الإغراق على الأطفال[١].

وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى نشوء الغيرة.

علاج الغيرة:

بيَّن القرآن الكريم وسائل عديدة لعلاج الغيرة والتخفيف من حدَّتها، **ومن ذلك:**

١ ـ العلاج عن طريق الوقاية والحماية:

إن المربي الواعي يعرف كيف يعالج الأمور قبل وقوعها، وقد ضرب نبي الله يعقوب عليه السلام أروع الأمثلة على ذلك، فعندما رأى يوسف عليه السلام رؤيا في المنام وقصها على أبيه وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقد استبشر يعقوب عليه السلام بهذه الرؤية «وأدرك بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لهذا الغلام تؤذن برفعة ينالها يوسف عليه السلام على إخوته»[٢]، وخوفاً على يوسف من غيرة إخوته منه طلب يعقوب عليه السلام من ابنه أن لا يقص هذه الرؤيا على إخوته: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف].

وهنا نجد أن يعقوب عليه السلام عرف غيرة إخوة يوسف منه وخاف أن

---

(١) انظر: المشكلات النفسية عند الأطفال، زكريا الشربيني ص٣٣ ـ ٣٤.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٧١، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢١٣.

تشتد بهم الغيرة فيجد الشيطان طريقاً إلى نفوسهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد فيدبروا له كيداً، فكان هذا التحذير الوقائي من يعقوب عليه السلام لابنه يوسف ليحول دون وقوع المكروه.

٢ ـ العلاج عن طريق إقامة العدل:

ويتم إقامة العدل بين الناشئة بالمساواة بينهم في حسن المعاملة وعدم عقد المقارنات بين الإخوة والعدل في إقامة العقاب حتى لا ينشأ الناشئة وقد أُوغِرت صدورهم على أشقائهم وأقرانهم بدافع الغيرة بما لا تحمد عقباه؛ نظراً لعدم المعاملة العادلة من قبل آبائهم، فالعدل مطلوب في كل الأمور، وقد أمر الله به في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وبيَّن سبحانه وتعالى أن القيام بالعدل واتخاذه منهجاً وسلوكاً في التعامل أقرب للتقوى ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقد سبق أن تحدثنا عن مظاهر العدل بالتفصيل فليرجع إليه(١).

٣ ـ العلاج عن طريق تأمين حاجات الناشئة:

فالحاجة مزلق خطير، ولهذا ينبغي على الوالدين تأمين حاجات الأبناء ومتطلباتهم على حسب مقدرتهم دون تقتير أو بخل، فتربية الأولاد يجب أن تكون وسطية فهي لا تعطي ببذخ فيتعودوا الإسراف والتبذير، ولا تمنع عنهم العطاء فيشعروا بالتقتير عليهم، فيدفعهم ذلك إلى السرقة والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء].

وتعتبر القناعة من الأساليب الهامة التي تعالج الاضطرابات النفسية الناجمة عن الغيرة وكراهية الغير المنافس، وهذا يتطلب من الوالدين تنشئة الأبناء على الرضا والقناعة بما قسم الله، وأنه سبحانه قسم الأرزاق

(١) انظر: ص٧٤ من هذا البحث.

وجعلها متفاوتة لحكمة أرادها سبحانه ومنها الابتداء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

❐ ثالثاً: الحسد:

الحسد هو «حالة انفعالية شائعة بين معظم الناس، وهو من الأمراض العظيمة للقلوب»[(١)]، وله من الآثار والنتائج الخطيرة والمضاعفات النفسية الأليمة.

والحسد في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: حسده ـ حسداً: تمنى أن تتحول إليه نعمته أو أن يُسلبها، ويقال: حسده النعمة وحسده عليها وأحْسَدَه: وجده حاسداً، وتحاسدا: حسد كل منهما الآخر[(٢)].

والحسد في الاصطلاح:

«أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنَّى أن تزول عنه وتكون له دونه، وربما كان مع ذلك سعيٌ في إزالتها»[(٣)]، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

ويرى ابن تيمية[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السبب في تسمية حب الإنسان أن

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٠٨٨، والحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص١٠٩.

(٢) ١/ ١٧٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ص٢٠٦، والمفردات في غريب القرآن ص١٢٥، والتعريفات ص٨٧.

(٤) هو: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني، ولد في ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، عني بالحديث وبرع في الرجال وعلل الحديث، وفقه الإسلام، وعلم الكلام، ألف ثلاث مائة مجلد وامتُحن وأوذي. مات في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ).
انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي ١/ ٥٢١.

يكون له مثل هذا النعمة التي لدى الغير مع عدم تمني زوالها عنه حسداً، هو أن مبدأ هذا الحب هو نظره إلى النعمة التي عند الغير وكراهية أن يفضل عليه. ولولا نظره إلى النعمة التي عند الغير، وكراهية أن يفضل عليه لم يُحِب أن يكون له مثلها[١].

وهذا هو المذموم، «أما إذا تمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه فهذه هي الغبطة»[٢].

ووجود هذه الظاهرة المذمومة بين الناشئة يستلزم الاهتمام الكلي من الآباء والمربين لاستئصالها من تلك النفوس الغضة حتى لا تتراكم على أثرها ظواهر سلبية أخرى، ومعرفة أسباب ظهور هذه الظاهرة وانتشارها.

أسباب الحسد:

١ ـ شعور الإخوة بتفضيل أحدهم عند الوالدين:

قد يشعر الإخوة بميل الأبوين لأحدهم فيثير في نفوسهم الحقد والكره لذلك الأخ المفضل والرغبة الشديدة في إيذائه وقد صور القرآن هذا الشعور في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وما عزموا عليه من قتله والتخلص منه وفيما قاموا به من إلقائه في غور البئر لأنه ظفر بحب أبيه وتفضيله عليهم، فقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

وهذه الآية «من عبر الأخلاق السيئة، وهي التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه لاشتمالها على الحسد والإضرار بالغير»[٣]

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ص٢٠٧.
(٣) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٣.

لتحقيق غرض واحد كما قال الطبري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف فإنه قد شغله عنا وصرف وجهه عنا»[٢].

وكأن يعقوب عليه السلام حين لا يرى يوسف «في وجهه يصبح قلبه خالياً من حبه ويتوجه بهذا الحب إلى الآخرين»[٣].

٢ ـ تميز أحد الإخوة بصفات طيبة:

عرض القرآن الكريم نموذجين أحدهما يمثل نموذج الخير والآخر يمثل نموذج الشر، وقد تمثل هذين النموذجين في ابني آدم عليه السلام وهما قابيل وهابيل، فكان هابيل رجلاً رزقه الله بسطة في العقل والجسم، من الذين حُمِّلوا الأمانة فصانوها، ووهبه الله الحكمة فأجلّها يؤثر رضا الله، صالحاً تقياً يطمئن للحق ويرضى بقسمة ربه ويحرص على بر الوالدين، أما قابيل فكان رجلاً تمتزج به عناصر الشر، وتسيطر على تصرفاته دواعي الطمع والإثم والتمرد على حكم الحق، وبين هذين النموذجين وقع الصراع بين الخير والشر الذي كان الحسد قائده، وكانت النهاية قتل النفس الخيِّرة وهذا من أعنف ضروب الحسد[٤]، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

وهكذا «نجد أن الحسد مثل الغيرة يثير الحقد والكراهية ويدفع إلى

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ١٩.
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٧٣.
(٤) انظر: مع الأنبياء في القرآن، عفيف طبارة ص٥٣ ـ ٥٥، وقصص القرآن، محمد جاد المولى ص١٦.